مجلـــة كليـــة التربيـــة طرابلـــس

Journal of the Faculty of Education Tripoli

إستراتيجية التثليث اللغوي عند علماء العرب الأقدمين
(تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من القرآن نموذجًا)

ليلى عبدالرزاق الزقوزي

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية طرابلس، جامعة طرابلس، طرابلس، ليبيا.

البريد الإلكتروني: l.alzaquzy@uot.edu.ly

Article history

Received: Agu 29, 2024 Accepted: Oct 7, 2024

الملخص:

استخدم علماء العرب الأقدمون إستراتيجيات متعددة لتعليم اللغة، وكانت فكرة القياس على اللغة الفصيحة التي نزل بها القرآن الكريم تسيطر على عقول علماء اللغة لنقل اللغة وتعليمها، فوضع سيبويه قواعد النحو والصرف لتمكن متعلم اللغة من القياس على النموذج الفصيح الذي اجتمعت عليه القبائل العربية المستهدفة من استقرائه، وكان انبهار علماء العربية بهذا الكتاب سببا في التقليل من شأن محاولات أخرى كانت تسعى لتقعيد اللغة ونقلها خدمة لمتعلمها من جوانب كثيرة؛ من هذه المحاولات محاولة قطرب في مثلثاته، التي كان يهدف بها إلى امتلاك المتعلم ناصية اللغة؛ فيجمع بين الكلمات ذات الجذر الواحد، التي تختلف في حركة فائها فقط، وحاول بعض من جاء بعده أن يوسّع دائرتها بضم مثلثات عين الكلمة، والفاء واللام الأولى لغير الثلاثي من الأسماء، ولم يقف تطور هذا الفن عند هذه النقطة، بل شمل أيضا المفردات المثلثة في القراءات القرآنية؛ لتمكين حافظ القرآن من جمع هذه القراءات بشكل أيسر، ومما تحققه هذه المثلثات أنها تكوّن معاجم مصغرة في ذاكرة من يحفظها، فهي إستراتيجية من الإستراتيجيات التذكرية التي تساعد على تخزين المعلومات في ذهن الطالب، واسترجاعها حين الحاجة إليها، فتسهم في نقل اللغة وتعلمها، ولكنها لم تجد ذيوعا كما وجدته غيرها من إستراتيجيات تعلم اللغة منذ ظهورها؛ لحشو المؤلفات فيها بما يثقل على الطالب اكتسابه، كذلك لم تلق في العصور المتأخرة منصفا لها من علماء تعليم العربية إلا محاولات مشابهة في تعليم اللغات الأجنبية؛ لذلك تلفت هذه الدراسة نظر معلمي اللغة العربية لاستعمال هذه الإستراتيجية في مؤسساتنا التعليمية بالحث على استخدامها والاستفادة منها

الكلمات المفتاحية: إستراتيجية، التثليث اللغوي، تحفة الأقران، تعليم اللغة العربية.

Linguistic Triangulation Strategy Among Ancient Arab Scholars-Tohfat Alaqran in What was Read with Three Readers of Qur'an

A B S T R A C T:

The ancient Arab scholars used multiple strategies to teach the language, and the idea of analogy to the eloquent language in which the Holy Qur'an was revealed dominated the minds of linguists to transmit and teach the language. Sibawayh established the rules of grammar and morphology to enable the language learner to use analogy to the eloquent model upon which the targeted Arab tribes gathered to extrapolate it. , The fascination of Arabic scholars with this book led to the downplaying of other attempts that sought to standardize the language and transmit it to serve its learner in many aspects. One of these attempts is Qatrub's attempt in his Triangles, with which he aimed for the learner to master the language by combines words with the same root, which differ only in the movement of their fa', and some of those who came after him tried to expand its circle by including the triangles of the word 'ayn, the fa' and the initial lam of non-triple nouns. The development of this art did not stop at this point, but it also included the triangular vocabulary in Qur'anic Qeraate. to enable the memorizer of the Qur'an to collect these Qeraate. in an easier way, and what these triangles achieve is that they form mini-dictionaries in the memory of the one who memorizes them. They are one of the most important mnemonic strategies. Which helps to store information in the student's mind, and retrieve it when needed, thus contributing to the transfer and learning of the language, but it has not found as much popularity as other language learning strategies since its appearance. To fill the literature with things that are burdensome for the student to acquire, similarly, in recent times, there have been no equals to it from Arabic teaching scholars except similar attempts in teaching foreign languages. Therefore, this study draws the attention of Arabic language teachers to use this strategy in our educational institutions by urging its use and benefit from it.

Keywords: Strategy, Linguistic triangulation, Tohfat Alaqran, Teaching Arabic Language.

المقدمة:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه من باب تعليم اللغات، والتخطيط لها، وهو مجال من مجالات

اللسانيات التطبيقية التي يندر فيها البحث والتأليف في جامعة طرابلس تحديدا، إذ يبرز إستراتيجية تثليث الكلمات التي استنبطها العالم اللغوي قطرب واستخدامها لتعليم اللغة العربية، ويعيد النظر فيها بتقييمها وإيجاد طرق لعلاجها وتقويمها، ولأن هذه الإستراتيجية لم تجد شيوعا في تعليم اللغة العربية كغيرها من الإستراتيجيات على الرغم من أهميتها، قمت بتحليل نموذج لها وهو كتاب تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من القرآن للرعيني، فأبرزت مواطن القوة والضعف فيه، لمعرفة أسباب انحسار استخدام هذه الإستراتيجية، وإيجاد حلول لتقويم العمل بها، والحث على الاستفادة منها واستخدامها في مؤسساتنا التعليمية لتعليم العربية أسوة باستخدامها في تعليم بعض اللغات الأجنبية؛ لأنها تكسب طالب اللغة معاجم مصغرة في ذهنه لمفردات اللغة وقواعدها؛ يسهل له استذكارها واستعمالها في خطابه اليومي.

إشكالية البحث:

يجيب هذا البحث عن سؤال مهم في مجال تعليم العربية في العصر الحديث، وهو: لِمَ لا نستفيد من الجوانب النظرية للإستراتيجيات التعليمية التي ابتدعها علماء العربية الأقدمون بتطبيقها في مراكز تعليم العربية؟ ولِمَ يتّجه الباحثون العرب حديثا إلى النظريات الغربية مع وجود نظريات تراثية مناظرة ؟ وهل يمكن تعديل تلك الإستراتيجيات وتلافي الأخطاء التي وقع فيها الأقدمون؟

أهداف البحث:

1- تحليل إستراتيجية التثليث اللغوي، وإبراز أهميتها في تعليم اللغة.
2- وضع خطة إجرائية لتمكين معلمي العربية من استخدام هذه الإستراتيجية.

المخطط العام للبحث:

المطلب الأول- المثلثات اللغوية في التراث العربي.

أولا- مفهوم المثلثات اللغوية، وأغراض التأليف فيها.

ثانيا- منهج الرعيني في تحفته لتثليث القراءات.

المطلب الثاني- أهمية استخدام إستراتيجية التثليث في تعليم العربية في العصر الحديث.

المطلب الأول- المثلثات اللُّغويَّة في التراث العربي:

لم تر الدراسات اللُّغويَّة للغة العربية مجدًا كما رأته في القرن الثاني الهجري، وذلك بعد ظهور كتاب سيبويه إلى النور، فكان أشرف مؤلف في عصره، وانبرى علماء اللغة له شرحًا ونقدًا وتحليلًا، وكانت فكرة كتاب سيبويه في تعليم اللغة بأن يجعلها دائرة في فلك العمل النحوي، وهي فكرة عقلية جبَّارة تدل على عبقرية التنظير للغة، ومع ذلك كان علماء العربية على وعي بأن هذه الطريقة لن تؤتي أكلها منفردة، وكانت هناك حاجة إلى تضافرها مع طرائق أخر؛ لتمكين متعلِّم اللغة من امتلاك ناصية اللغة والتخاطب بها،

والتعبير عن أغراضه دون لبس وانحراف، فظهرت فنون كثيرة ومن تلك الطرائق لجوء علماء اللغة إلى البوادي والمفازات لجمع مفردات اللغة من بطون القبائل البدوية، وتصنيفها، فألفوا معاجم تعجز عن حملها بعيرهم، أعيت الطالب عن جمعها، وفكّر محمد بن المستنير الملقب بقطرب (206هـ) في طريقة تعين مستخدم اللغة من جمع معجم لغوي صغير في ذاكرته بابتكار فكرة التثليث، فجمع بعض المفردات المتشابهة في الحروف والبناء والمختلفة في حركة فائها، وسمي هذا المعجم بمثلث قطرب.

ونظرا لعدم نضج هذه الفكرة لقلة المادة المجموعة صار مثلث قطرب محلًا للنقد، فجاءت محاولات أخرى على نهجه، محاولة سد النقص فيه، فقام بعض اللغويين بجمع مادة وفيرة عن المثلثات العربية، فلم يقتصروا عن جمع مثلثات الفاء، بل جمعوا مثلثات العين، وما ثلث من أول الكلمة مع ثانيها أو ثالثها، وأشهر تلك المؤلفات كتاب المثلث لابن السيد البطليوسي (521هـ)، وكتاب إكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك الجياني (672هـ)، والغرر المثلثة والدرر المبثثة للفيروزبادي (917هـ)، ونيل الأرب في مثلثات العرب للخليلي (1846م).

ولم تكن فكرة تثليث اللام واردة لأن أي كلمة معربة يمكن أن تعتورها حركات الإعراب الثلاث إلى أن فكّر أبو جعفر الرعيني (779هـ) في نقل هذه الفكرة إلى القراءات، فألف كتابه: تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من حروف القرآن؛ لتمكين القارئ من جمع الألفاظ التي قرئت بثلاثة أشكال سواء أكان ذلك في فاء الكلمة أم عينها أم لامها، وما سوّغ له إدخال لام الكلمة لمجال المثلثات هو ثبات النص القرآني، فموضع الكلمة واحد في جميع القراءات، ومع ذلك قرئت الكلمة بثلاث حركات.

أولا- مفهوم المثلثات اللُّغويَّة، وأغراض التأليف فيها:

1- مفهوم المثلثات اللغوية:

المثلث لغة: اسم مفعول من فعّل على وزن مُفَعَّل، "وأثلثوا صاروا ثلاثة ... والثَّلوث من النوق ناقة تملأ ثلاثة أوانٍ" (الزبيدي، 1969، 184/5)، "وناقة مثلثة لها ثلاثة أخلاف ... الفراء: كساء مثْلوث: منسوج من صوف ووبر وشعر ... وقال الليث المثلث: ما كان من الأشياء على ثلاثة أثناء" (الأزهري، 1967، 61/15).

أما عن مصطلح المثلث اللغوي، فقد استخدم لمفاهيم كثيرة حسب المادة اللغوية التي ضمتها مؤلفات هذا الفن، فبالنظر إلى تأليف قطرب مثلثه نلخص إلى تعريف المثلث بأنه: "ما اتفقت أوزانه من الأسماء وتعادلت أقسامه واختلفت حركة الفاء فيه مع اختلاف المعنى"؛ لأن قطربًا جمع الأسماء المتحدة الأحرف والمتغيرة المعنى والمثلثة الفاء، وشُذ في مثلثه الفعل (عمرت)، وهو مثلث عيني.

والمتتبع لمنهج ابن السيد البطليوسي لن يركن إلى هذا التعريف، بل إلى تعريف ابن السيد نفسه للمثلث إذ قال: "وإنما نعتدّ مثلثا في كتابنا هذا ما اتفقت أوزانه وتعادلت أقسامه ولم يختلف إلا بحركة فائه فقط كالغَمر والغُمر والغِمر، أو بحركة عينه كالرجَل والرجُل الرجِل، أو كانت فيه ضمتان تقابل فتحتين

وكسرتين؛ كالسَمسَم والسُمسُم والسِمسِم، والجَرجار والجِرجير والجُرجور، والهَمهَام والهِمهِيم والهُمهُوم"(البطليوسي، 1،1981/297)، وأضاف ابن مالك ما ثلّث أوله وثانيه معا (الجياني، 1984، ص4/1). وأورد كلاهما في مؤلفه المثلث المتفق المعنى والمختلف المعنى، وبذلك يكون التعريف قاصرًا، وعُرّف حديثا بأنه " أسلوب يتمثل في إيراد ثلاث حركات لثلاث كلمات تتشابه في الأصل والوزن وترتيب الحروف، وتختلف في حركة فائها أو عينها، سواء كانت هذه الكلمات بحركاتها الثلاث متفقة المعنى أو مختلفة" (العبوشي، 2016، ص153)، فأدخل في التعريف اختلاف المعنى واتفاقه وأخرج ما ثلث فيه أوله وثالثه معا، وبتأليف تحفة الأقران فإن مجال التثليث صار في جميع حروف الكلمة.

2- أغراض التأليف في المثلثات:

أ- الغرض الصوتي:

كانت المرحلة الأولى للتأليف في هذا الفن مرحلة الإبداع التي كان رائدها قطربا، والتي اكتفى فيها بمثلث الفاء من الأسماء مختلفة المعنى؛ ولأن مثلثه باكورة هذا الفن لم يسلم من النقد، فقال عنه ابن السيد: "غير أنه كتاب يدل على ضيق عطن[1] المؤلف، وقلة مادة مصنفه؛ لأنه اجتمع فيه مع صغر حجم الكتاب أنه أورد فيه أشياء بعيدة عن الصواب، واضطر إلى ذكر ألفاظ تخالف المنزع الذي قصد إليه، وحام فكره عليه؛ لأنه أدخل فيه الكَلأ والكُلى الكِلا، ومثل هذا لا يُعدُّ من المثلث الذي إياه اعتمد، وإليه قصد؛ لأن المفتوح منها مقصور مهموز، والمضموم مقصور غير مهموز، والمكسور ممدود.

وكذلك ذكر السُلامى وهي مقصورة مع السَّلام والسِّلام، وهما غير مقصورين، وذكر الجَواري وهي من المعتل المنقوص مع الجِوار والجُوار، وليسا مثلا في الاعتلال" (البطليوسي، 1،1981/297، 298).

ويطرح هذا النقد في أذهان الباحثين العديد من الأسئلة، هي: ما الهدف من تثليث قطرب لهذه الأسماء؟ ولِمَ اقتصر على مثلث الفاء؟ وهل غاب عنه أن هناك مثلثات متفقة المعنى؟ ألم ينتبه إلى الكلمات التي خالفت المنزع الذي قصده، وحام فكره حوله؟

وبتحليل المثلثات التي خالفت المنزع المقصود- كما ذكر البطليوسي- تظهر الإجابات الشافية عن هذه التساؤلات:

- **في قوله: "لأنه أدخل فيه الكَلأ والكُلى الكِلا، ومثل هذا لا يعد من المثلث الذي إياه اعتمد، وإليه قصد؛ لأن المفتوح منها مقصور مهموز، والمضموم مقصور غير مهموز، والمكسور ممدود"**، إذا قطّعت الكلمات الثلاث إلى مقاطع صوتية يتبين أن المفتوحة الفاء تتكون من مقطعين متوسطين يتوسطهما مقطع قصير:

ء َ ل / كـ َ / ل َ ء

ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص

[1] – العطَن: وطن الإبل، وقد غلب على مبركها حول الحوض، وأيضا مربض الغنم حول الماء" (عطن) تاج العروس.204/35.

?al/ka/la?

Cvc/cv/cvc

وتتكون المضمومة الفاء من مقطعين متوسطين يتوسطهما مقطع قصير:

ء َ ل / كـ ُ / ل َ َ

ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح

?al/ka/laa

Cvc/cv/cvv

والمكسورة الفاء تتكون من مقطعين أولهما متوسط وآخرهما طويل يتوسطهما مقطع قصير:

ء َ ل / كـ ُ / ل َ َ ء

ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح ص

?al/ka/la:?

Cvc/cv/cvvc

وقد تخفف العرب الهمزة وتبدلها صوت لين من جنسها، ففي المفتوحة إذا خففت تبدل ألفا، من ذلك قراءة أبي جعفر قوله Ψ: (مُتَّكاً) [يوسف:31] بإبدال الهمزة ألفا، وهو مما يجوز في الشعر أيضا نحو قول الفرزدق[2]:

راحت بمَسْلَمةَ البغالُ عشيةً فارعَيْ فَزارةُ لا هنَاكِ المرتعُ

يريد: لا هنَأَك، فهي تناظر الكلى المضمومة عندئذ.

وكذلك في الكلاء فهي ممدودة، وقد أجاز المتأخرون من أهل اللغة قصر الممدود في الاختيار بعد أن منعه بعضهم (الأندلسي، 1993، 471/5). وقضوا بإجازته لثبوته في قراءة البَّزي (الجزري، لا ت، 303/2)، في قوله Ψ: (شُرَكَائِي) [النحل:27]، وقوله: (دُعَائِي) [نوح:6]، وقوله: (وَرَائِي) [مريم:5]، وهو في الشعر كثير.

- **وفي قوله: "وكذلك ذكر السُّلامى وهي مقصورة مع السَّلام والسِّلام"**، والعرب كانت تحذف المد وتكتفي بالحركة المجانسة له، وإن كان وروده في الألف قليلا، من ذلك ما نسب إلى رؤبة قوله[3]:

وصّاني العجّاج فيما وصّني

وإن وردت المفتوحة والمكسورة قافية في موضع نصب؛ لاتفقت مع السلامى المضمومة بزيادة ألف الإطلاق.

- **وفي قوله: "وذكر الجَواري وهي من المعتل المنقوص مع الجِوار والجُوار"**، وإذا نظرنا في القرآن الكريم فإن كلمة الجواري وردت مرتين الأولى في قوله: (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ) [الرحمن:24]، فوردت محذوفة الياء كتابة في الآيتين؛ لأنها محذوفة نطقا؛ لورودها في المقطع (ص ح ح ص) الذي استكرهته العرب في الوصل إلا بشرط تشديد ما بعد صوت المد، والثانية في قوله Ψ: (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) [الشورى:32]، رسمت دون ياء موافقة لقراءة حمزة بحذفها في الوصل والوقف (ابن الجزري، لا ت، 182/2)، وقد بيّن سيبويه جواز الحذف فيما

[2] – البيت من البسيط للفرزدق، وهو في ديوانه، ص353.

[3] – البيت من الرجز لرؤبة، وهو في ديوانه، ص187.

فيه ألف ولام من المنقوص وقفا (سيبويه، 1988، 184/4)، وقد حذفت في الوصل كذلك في الشعر من ذلك قول الأعشى[4]:

وأخو الغوانِ من يشأ يصرمنه ويعُدن أعداءً بُعَيْد وِداد

إذا فالجوارِ يجوز فيها حذف الياء، وتستوي عندئذ صوتيا مع الجِوار والجُوار، إذ تتفق معهما في عدد المقاطع ونوعها:

ء َل / جَ / وَ َ ر

ء َل / جُ / وَ َ ر

ء َل / جِ / وَ َ ر

?al/ʤa/wa:r

?al/ʤu/wa:r

?al/ʤi/wa:r

وكلها تقابل المقاطع:

ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح ص

Cvc/cv/cvvc

وبالتحليل العروضي تُقسَّم أحرف الكلمات إلى ساكنة ومتحركة، وأساس تقطيع أبيات الشعر شيئان: أولهما- "مركب من حرفين: إما متحرك وساكن واسمه سبب خفيف ... وإما متحركين واسمه سبب ثقيل، ... والثاني- مركب من ثلاثة أحرف: إما متحركين يتوسطهما ساكن، واسمه وتد مفروق، وإما متحركين يعقبهما ساكن واسمه وتد مجموع" (الزمخشري، 1989، ص26) ، وتقسيم الشعر إلى مقاطع عروضية يمكن أن يعدّ بداية للتقطيع الصوتي الذي عرف في العصر الحديث، وبالرجوع إلى المثلثات التي أوردها قطرب فإنها من الممكن أن تتناوب في قافية قصيدة واحدة، كما أنها على أوزان تصلح لأن تكون قوافي، قال ابن طباطبا: "قوافي الشعر كلها تنقسم على سبعة أقسام: إما أن تكون على فاعل ... أو فعال ... أو مفعل ... أو فَعيل ... أو فعَل ... أو فعْل أو فُعيل... فمنها ما يطلق ومنها ما يقيّد، ثم يضاف كل بناء منها إلى هائها المذكر أو المؤنث " (ابن طباطبا، 2005، ص133)، فجاءت مثلثات قطرب على ثلاثة أوزان مما ذكر ابن طباطبا، وهي فعال، مثل: سلام وكلام وجوار ، وفعَل، مثل: لحا وملا وكلا، وفعْل، مثل: غمر وحرة حلم، فمن ألمّ بها وحفظها فهي إلى جانب كونها معجما لغويا، فهي معجم قوافٍ لمن أراد أن يصنع الشعر ، لذلك اعتد قطرب بتحريك الفاء فقط، إذ لو حركت العين وجمعت الكلمات المثلثة العين في قصيدة واحدة لكانت حركة ما قبل الروي مختلفة، فلا تصلح لأن تكون هذه الكلمات قوافي.

ب- الغرض الصرفي:

أراد ابن السيد أن يتلافى المآخذ التي انتقد بها مثلثات قطرب، فجمع مادة وفيرة في هذا الفن، ولم يقتصر على التصنيف اللغوي الدلالي لمثلثه، بل اعتدّ بالتصنيف الصرفي في بعض الكلمات، فمثلا جعل

[4] – البيت من الكامل للأعشى، وهو في ديوانه، ص16.

الأمان والأمين والأمون من باب المثلث فقال: "الأمان ضد الخوف ... والأمين الرجل المؤتمَن والمؤتمِن أيضا ... والأمون ... الموثقة الخلق من النوق التي يؤمَن عثارها" (البطليوسي، 1،1981/344)، وهي تدور حول نفس المعنى وتختلف فقط في الصيغة الصرفية، فالأمان مصدر، والأمين اسم فاعل أو مفعول، والأمون صيغة مبالغة من نفس المصدر وهو الأمان.

وقد يجد القارئ في كتب المثلثات تحليلا صرفيا لبعض الكلمات تتبّع فيه المؤلفون التغيرات الحادثة للكلمة نتيجة الإعلال والإبدال، وما قابلها في تلك التغيرات من أوزان، وسيأتي بيان ذلك عند تحليل كتاب تحفة الأقران في هذا البحث.

ج- الغرض التركيبي:

عند تثليث لام الكلمة أثناء اعتوار علامات الإعراب عليها يحتاج الطالب إلى معرفة المواقع النحوية التي تحتلها تلك الكلمة، وإن أطلق هذا التثليث لاحتمل جميع ألفاظ اللغة المعربة، فكل كلمة تحتمل أن تكون مرفوعة في سياق ما، ومنصوبة في سياق آخر، ومجرورة في سياق ثالث، إلا إذا اقتصر المؤلف على نص ثابت كما فعل الرعيني في كتابه تحفة الأقران إذ جعل مثلثاته مقتصرة على النص القرآني، فلا يمكن للكلمة إلا أن تكون في الموضع نفسه عند تغير العلامات الإعرابية.

د- الغرض المعجمي:

لا شك أن هدف التأليف في هذا الفن مهما اختلف فإنه يقود الطالب إلى اكتسابه معاجم لغوية مصغرة في ذهنه، وما قام به المؤلفون في المثلثات من شرح لمعاني الكلمات المثلثة وذكر دلالاتها المعجمية - سواء منهم من أوجز أم من أسهب- ومن ترتيبهم لمادة مؤلفاتهم ترتيبا ألفبائيا، جعل هذه المؤلفات نوعا من المعاجم اللغوية.

هـ- الغرض التداولي:

التداوليَّة هي محاولة لـ "إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرُّف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي" (صحراوي، 2005م، ص 15-16)، ولا شك أنها تهتم بالجانب التخاطبي السياقي للغة عند استعمالها في مقامات مختلفة، "باعتبارها كلامًا محدَّدًا صادرًا من متكلم محدد، وموجه إلى مخاطب محدد، في مقام تواصلي محدد، لتحقيق غرض تواصلي محدد" (السابق، ص 26)، وهذه المثلثات تمثل مادة للتخاطب، وقد يستعملها متكلم اللغة لغرض الإلغاز والتعمية، فيفهم المخاطب الغرض من اللفظ، فيحصل تواصل خطابي بينه وبين المتكلم، وقد يتجه فهمه نحو معنى آخر، فيحدث بينهما انقطاع التواصل الخطابي؛ لأن ما يقصده المتكلم- وهو مريد لذلك- لم يصل إلى المخاطب، مع ورود معنى آخر في ذهن المخاطب يعرفه المتكلم بقصد التعمية.

و- الغرض التعليمي:

يعد تعليم اللغة العربية هدفا رئيسا لدراسة اللغة وتصنيف مفرداتها، ولا شك أن متكلم اللغة في حاجة إلى اكتساب أكبر عدد ممكن من المفردات للتعبير عن حاجاته اللغوية دون انقطاع، ولاستقبال أغراض

المخاطبين له دون قصور، وهذا يحتاج إلى وجود كم هائل في ذهن متعلم اللغة، ولم يأل علماء العربية جهدا في تزويد طلابها بمعاجم لغوية تمكنهم من الإلمام بمفردات العربية بأيسر الطرق، ومنها طريقة تثليث المفردات التي تعدّ من الإستراتيجيات التذكرية التي من وظائفها مساعدة الطلاب على تخزين المعلومات الجديدة ثم استرجاعها، وذلك بعمل روابط ذهنية عن طريق التصنيف في مجموعات، إذ تصنف المعلومات في وحدات لها معنى سواء بداخل العقل أو كتابيا؛ وذلك لتسهيل تذكر المعلومات بتصغير عدد العناصر التي سيتم تخزينها أو استدعاؤها (أكسفورد، 1996م ص47،48)، فتخزين أصوات كلمة واحدة في الذهن مع تغيير حركات أحد حروفها أيسر من تخزين ثلاث كلمات منفصلات دون أن يربط بينها رابط.

وهو ما قام به هذا الفن أي بدل أن يدرس كل لفظ منفردا بمعناه جمع في مثلثات لمعرفة الفروق الدلالية بين الحركات إذا كانت المثلثات مختلفة المعنى، ولجمع اختلاف اللغات العربية إن كان المثلث متفق المعنى، فالمثلثات متون حفظ، وتخزين للمعلومات توسع من الأفق اللغوي لطالب اللغة، فيمتلك زمامها ويأتي باللفظ المناسب عند استعمال هذه اللغة.

ثانيا- منهج الرعيني[5] في تحفته لتثليث القراءات:

يعدّ كتاب أبي جعفر تحفة كما أسماه، والتحفة: "الطُّرْفَةُ مِن الْفَاكِهَةِ وغيرِهَا من الرَّياحِينِ" (الزبيدي، 1969، 52/23)، فهو كتاب طريف بناه على فكرة التثليث التي ابتدعها قطرب، استقى مادته من تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، الذي اشتهر فيه بالدفاع عن القراءات، والاحتجاج لها، سواء أكانت قراءات متواترة أم شاذة، فاجتمع لدى الرعيني أوجه المثلثات في القراءات الذي بنى عليها تحفته.

وقد ذكر أبو جعفر سبب تأليفه للتحفة في مقدمتها، فقال: "فإنّي رأيتُ من القراءات ما جاء مُثَلَّثَ اللَّفْظ، وهو من القسم الشّارد عن الحِفْظ"، وقوله: "ليكون تَذْكِرةً لِلَّبِيب، وتَنبيهاً للأَرِيب". (الرعيني، 2007، ص 3). فقد نبّه أن مثل هذه القراءات شاردة عن حفظ الطلاب، لا يستطيعون الإلمام بها، فجمعها في هذا الكتاب الذي أطرف به الطلاب الألباء ليستطيعوا حفظ هذه القراءات وتذكّرها، وتنبيها للأُرباء الذين تمكنوا من الإلمام بها.

---

[5] – هو أَحْمد بن يُوسُف بن مَالك بن إِسْمَاعِيل بن أَحْمد الرّعيني الغرناطي الأوليوري أَبُو جَعْفَر، قدم إِلَى الشَّام هُوَ ورفيقه أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد الهوّاري الضَّرِير، وسمعا الحَدِيث من شُيُوخ الْعَصْر، قَرَأَ بالسبع على الأُسْتَاذ أبي الْحسن عَليّ بن إِبْرَاهِيم الْمَعْرُوف بالقيجاطي، والنحو على الأُسْتَاذ أبي عبد الله مُحَمَّد بن عَليّ الْخَولَانِيّ البيري، وَالْفِقْه على الْمَذْكُور وعَلى الأُسْتَاذ أبي عبد الله البيّاني وعَلى قَاضِي الْجَمَاعَة أبي عبد الله –ابْن بكّر، وسمع الصَّحِيح على القَاضِي الْمَذْكُور، وَلم يَزَالَا هَكَذَا على طول عمرهما. وسمعا بِمصْر من أبي حَيَّان، ودخلا الشَّام، وسمعا الحَدِيث من الْمزي والجزري، وَابْن كاميار، ثم توجَّه إلى بعلبك وسمع الشاطبية من فاطمة بنت اليونيني بإجازتها من الكمال الضرير، ثمَّ قطنا حلب، وحدثا بهَا عَن الْمزي بِصَحِيح البُخَارِيّ، ومات الرعيني بحلب سنة تسع وسبعين سبعمائة. تنظر ترجمته في (السيوطي، 1965، 1/ 34)، و(الصفدي،2000، 8/ 199): و(ابن الجزري، 2006م، 1/ 138)

كما عدد الخطوات التي تصف منهجه في التأليف، بقوله: "فأَرَدْتُ أن أجمعَه مُتَّبعا لجَواهره، ومُقتَطِفا لأزاهره"، "ومُبَيِّنا لإعرابه"، "ورافعا لإغرابه"، "معِ نكتٍ أُبْديها، وتُحَفٍ أُهْديها"، "ورَتَّبْتُه على حروف المُعْجَم ليكونَ أسهلَ للنّاظر، وأجمعَ للخاطر".

ولكن هل استخدم أسلوبا يحقق هدفه من التأليف في هذا الفن؟ وهل سار على المنهج الذي حدَّده في مقدمة كتابه؟ وهل يتفق المنهج المتخذ مع أهداف الكتاب؟

لبيان ذلك هذا تحليل للخطوات المنهجية لكتاب تحفة الأقران:

1- جمع القراءات المثلثة وحصرها:

جمع أبو جعفر ثماني وثمانين آية فيها كلمات مثلثة أطلق فيها نوع التثليث، فكان عدد الكلمات التي ثُلّثت فيها الفاء أربعا وعشرين كلمة، وهي: (الحبك – جذاذا – جذوة – حجر – درّيّ –ذريتي – ربيون – ربوة – الرعاء – زجاجة – سم – شرب – صنوان – صدّوا – صد – العدوة – غلظة – الغيوب – غشاوة – قنوان – المرء – بملكنا – ودا – وجدكم)، وست كلمات ثلثت فيها العين (الحبك – نحس – المحصنات – فبصرت – يطمثهن –وهن)، وعشر كلمات مبنية (لتركبن – هيت(الهاء والتاء) – هيهات –لات – أف – قل – اشتروا – فتمنوا– لو – تمنوا) وثلاثة من أسماء للحروف، وهي: (صاد – قاف – يس)، واسمين أعجميين هما: (يونس – يوسف)، وباقي الكلمات ثلث فيها اللام لاختلاف إعرابها.

ولم يألُ جهدا في جمع المثلثات من مصادر كثيرة. وكانت مؤلفات شيخه من أهم المصادر التي اعتمد عليها إذ تكرر اسمه خمسا وعشرين مرة، وقد اعتمد على البحر المحيط في جمع القراءات، فهو المصدر الأساس لتحفته، إلى جانب إعراب العكبري الذي ذكره المؤلف عند قوله: "وأما قراءة الرفع فذكرها أبو البقاء في (إعرابه) ولم يُسْنِدْها"(الرعيني، ص20)، فنقل عنه في تسعة مواضع، كما احتل نقله من كشاف الزمخشري المرتبة الثانية في النقل يليه كتاب سيبويه والمحرر الوجيز لابن عطية، وتناثرت في تحفته آراء بعض العلماء الذين تنوّعت مدارسهم اللغوية كالفراء والأخفش وابن جني والزجاج، وندر ذكره للعلماء المتأخرين كالشلوبين وابن عصفور وابن مالك والبيري والسفاقسي والرازي، ويلحظ من خلال ذكر هؤلاء أنه اعتمد على التفاسير وكتب المعاني أكثر من اعتماده على المعاجم، إذ لم يذكر من مؤلفي المعاجم إلا الجوهري في موضع واحد من تحفته عند قوله: "وهنا تنبيه: وهو أن كوكبا وزنه (فوعل)، والواو زائدة، فكان حقّ **الجوهري** أن يذكره في فصل (ككب) لا في فصل (كوكب)، والله أعلم" (السابق، ص75). كما يلحظ اهتمامه بآراء المعاصرين من شيوخ الأندلس لكونه واحدا منهم.

2- بيان معانيها وإظهارها للطلاب:

استخدم الرعيني وسائل كثيرة لإظهار معاني المثلثات القرآنية في تحفته، ونظرا لاختلاف مصادره التي استقى منها جواهره التي رصعها في محتوى كتابه، فهو بعد أن يذكر المعنى المعجمي للكلمة يطرق بعض القواعد اللغوية، وإذا جاء بمصطلح يحدِّده، ويبيّن بعض مواضع الخلاف بين النحاة أو الفقهاء أو

اللغويين، ويدعم آراءه بشواهد مختلفة ومتنوعة، وقد يضطر لسرد عدد من الشواهد للقاعدة الواحدة إذا أراد إثباتها ودفع حجة الرأي المدحض لها، وفيما يلي ما يدل على ذلك:

أ- **التوسع في شرح التوجيه:** مثلا في تثليث الهمزة في لفظ (شركاءكم) من قوله- تعالى-: (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) [يونس: 71]، بدأ بتمهيد يشرح فيه قاعدة نحوية تترتب عليها الأحكام التي سيوردها، فقال: "ولا بُدّ أوّلا من تمهيد قاعدةٍ يُبْنَى عليها أحكامُ الإعراب، وهي أنَ أهل اللغة قالوا: إنّ أَجْمَعَ لا يُسْتعملُ إلاّ في المعاني، وجَمَعَ لا يُستعمل إلا في الأعيان" (الرعيني، ص4)، ثم استرسل في ذكر كل حالة والأوجه الإعرابية لها، فذكر في الرفع خمسة آراء، ثلاثة منها يمكن أن تضم في نقطة واحدة، وهي أن يكون معطوفا على أمركم، وفرّقه في ثلاث نقاط لاختلاف العلة النحوية في تقدير العطف، وكان في كل تعليل يأتي بالأمثلة المتعددة احتجاجا له، ففي تقدير العطف على تقدير حذف المضاف أتى بثلاثة أمثلة من قول العرب، وفي تقدير النصب بفعل محذوف أتي بموضع الاختلاف في المسألة ورجحها ووضع الضابط لها، ثم أردفها بشواهده، وهي على التوالي: قراءة متواترة، وآيتان، وسبع أبيات مع ذكر بيت آخر يساق للقاعدة نفسها، ولكنه خرجه على غير القاعدة المستدل لها، ثم أردف المسألة بالتفريق بين التضمين وإضمار الفعل(الرعيني، الصفحات 4-17)، وهذا إطناب لا طائل منه في مثل هذه الكتب التي يجدر أن يكون الغرض من تأليفها التيسير على المتعلم لا الشرح والتفصيل.

ب- **تحديده للمصطلحات الواردة في الشرح:** ذكر الرعيني في بيان إعراب كلمة (شركاءكم) في الآية السابقة توجيها بتضمين الفعل معنى فعل آخر، ولتحديد مصطلح التضمين قال: "ومعنى التضمين: أن يُضَمَّنَ الفعلُ معنى فعل آخر يصح أن يعملَ في المعطوف والمعطوف عليه، فيُضَمَّن (تَبَوَّءوا) : اتَخَذوا، وعَلَفْتُها: أعطيْتُها، ويُحَلِّين؛ يُعْطَين، وزجَّجْن: حَسَّنَّ، وأطْفَلَت: وَضَعَت. ويَجْدَع: يُذهب. والفرق بين التَّضمين وإضمار الفعل؛ أنّ التَّضمينَ يكونُ العطفُ فيه من باب عطف المفردات، وأن إضمارَ الفعل العطفُ فيه من باب عطف الجُمَل" (السابق، ص12).

ج- **بيان اللغات الواردة في الكلمات المثلثة:** وإن كانت غير عربية، كما هو في بيانه لأصل كلمة (هيت) في قوله- Ψ-: (وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ) [يوسف: 23]، فقال: "وزعم الكسائي والفرّاء أنها لغة حُورانيّة وقعت لأهل الحجاز فتكلّموا بها، ومعناها: تعال. وقال أبو زيد: هي عبرانيّة " هيت لخ "، أي: تعاله، فعرّبه القرآن. وقال ابن عبّاس: بالسريانيّة. وقال السّدّي: بالقبطيّة: هلّم لك" (الرعيني، ص41). وبيانه للغات العرب من باب أولى، فنجده في بعض المثلثات ينسب كل قراءة إلى لغة، من ذلك قوله في مثلث كلمة (غلظة) من قوله- تعالى-: (وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ) [التوبة: 123]: "وهي كلها لغاتٌ، عن أبي عمرو: فالكسر لغة أسد، والفتح لغة الحجاز، والضم لغة تميم"(الرعيني، ص125)، وقد يكتفي بقوله: لغات مع ذكر أفصحها، كما في بيانه مثلث كلمة ربوة من قوله- تعالى-: (وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ) [المؤمنون: 50]، قال: "والكلّ لغات بمعنى واحد. والرُّبوة بالضم أفصحها" (الرعيني، ص94).

د- **ذكره الخلافات النحوية ونقده آراء النحويين:** استطرد الرعيني في بعض المواضع لتوضيح القاعدة النحوية، فذكر الخلافات النحوية الواردة فيها، كما فعل في توجيه القراءات الواردة في مثلث كلمة الكواكب في قوله- عز وجل-: (بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ) [الصافات: 6]؛ إذ شرح الخلاف النحوي في وجود فاعل للمصدر المنوّن الناصب

للمفعول؛ فقال: "قلت: وهل في هذا المصدر المنوّن الناصب للمفعول فاعلٌ أم لا؟ اختلف النحويّون في ذلك على خمسة مذاهب: الأول- وعليه الجمهور: أن الفاعل محذوف. فإن قيل: الفاعل لا يحذف. قيل: ذلك في الفعل لا في المصدر. الثاني- وعليه الكوفيون: أن الفاعل مضمر. الثالث- مذهب أبي القاسم بن الأبرش من نحاة الأندلس: أنّ الفاعل منويّ إلى جنب المصدر، فقال في قوله- تعالى-: (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) [البلد:14]، التقدير: أو إطعامُ إنسانٍ. قال: ودلّ عليه ذكره الإنسانَ قبله. وهذا لا يطّرِدُ له، ألا ترى أنك تقول: عجبت من ركوبٍ الفَرَسَ، وليس هنا شيء متقدم يدل على الفاعل كما في الآية" (الرعيني، ص26)، كما ذكر اختلاف النحاة في أسماء الأفعال، فقال: "فمذهب أكثر البصريين أنها أسماء، وهو الصحيح. ومذهب الكوفيين أنها أفعال. وفرّق بعض نحاة الأندلس، فقال: ما كان ظرفاً أو مصدراً في الأصل نحو: حِذْرك، وفَرْطك، وعِنْدك فهو اسم، وما كان غير ذلك نحو: صَه، ورُوَيد، فهو فعل. وحُجَجُهم مستوفاة في كتب النحو. والذين قالوا باسميتها اختلفوا. فمنهم من قال: هي أسماء للأفعال بمنزلة زيد اسماً للشخص، ومنهم من قال: هي أسماء مرادفة للمصادر التي هي موضوعة موضع الفعل، وهذا هو الصحيح، وهو مذهب أبي عليّ. وثمَ مذهب ثالث: وهو أنها أسماء للفعل والفاعل، وهو مذهب مردود"(الرعيني، 2007، ص42)، وهذه كلها استطرادات لا تحقق أهداف المؤلف؛ لأنها تثقل كاهل الطالب ويضيع عنه حفظ المثلثات لكثرة التفاصيل الواردة في مثلث كل كلمة، وهي تفاصيل لها مظان يرجع إليها، ولا حاجة لذكرها ههنا.

ولم يكتف بذكر المذاهب النحوية، بل فصّل في مواضع آراء النحاة فيها، ورجّح بعضها، كما هو عند تأويله المصدر بالفعل المبني للمفعول في آية الصافات السابقة إذ قال: "وذهب أبو الحسن الأخفش إلى مَنع ذلك، وتَبِعَه نحاةُ الأندلس، وكان شيخنا الإمام العلامة أبو عبد الله البَيْري يميل إلى مذهب أبي الحسن ويُعَوّل عليه"(السابق، ص29).

ويبدو أنه لا يميل إلى مخالفة شيوخه، بل بدا تعصبه لشيخه أبي حيان في مواضع كثيرة من تحفته، من ذلك قوله: "قلتُ: وما استحسنه الشيخ حسنٌ، فما زال يُوَضِّحُ المُشكلات ويَفُكُّ المُعْضلات"(السابق، ص33)، ولا يتقبل نقدا أو تتبعا لمعلومات شيخه وثقته الكبيرة في صحة ما ورد في بحره، فهو يدافع عنه بقوة، كما في قوله: "وهذا القول نسبه الشيخ أبو حيَّان إلى الزجّاج. وقال برهان الدين السَّفاقسيّ في جمعه إعراب أبي حيَّان: ولمْ أرَ هذا للزجّاج في معانيه. قلتُ: لا يلزم أن تكونَ أقوالُ الزجّاج كلّها موجودةً في معانيه، والزجّاج بحرُ علم زاخرٌ، معانيه قطرة من ذلك البحر»(السابق، ص163)، وإذا كثرت الآراء حول مسألة لا يرضى إلا بتخريج شيخه، كما هو في قوله: "وأقرب من هذا كلِّه تخريجُ أبي حيَّان -رحمه الله-"(السابق، ص55). وهو في مواضع يستحسن سلامة التأويل من الحذف، وهذا مذهب أبي حيان في بحره إذ كان ظاهريا يعدل عن التقدير والإضمار في مواضع كثيرة، من ذلك قوله: "ويمكن أن تخرّج هذه القراءة على وجه حسن سالم من حذف حرف الجرّ ومن العطف على ما يصلح في الموضع: وهو أن يكون (السَّلَاسِلُ) معطوفاً على (الأعناق)، ويكون المعنى أنّ الأغلال في أعناقهم، وهي أيضاً في السلاسل التي يقاد بها المغلول، إذ لو كان الغلّ في العنوق وليس في سلسلة يحبس بها عن الفرار لكان أسهل على المغلول، فأخبر الله- تعالى- أن الغلّ في شيئين: في العنوق، وفي السلسلة التي يُسحب بها المغلول ويُمنع بها عن التصرّف، وذلك أعظم وأهول" (السابق، ص158).

وفي المقابل فهو مخالف لرأي الزمخشري الذي كان يخالفه أبو حيان في مواضع كثيرة، ولا شك أن أبا حيان قد أدحض آراء الزمخشري العقدية؛ إذ خالفه في المواضع التي تساند رأي المعتزلة، وتتبع آراءه اللغوية أيضا وقابلها بالنقد والتجريح في مواضع كثيرة من بحره، ووافقه الرعيني في كثير من المواضع تلك، منها قوله: "وأخطأ الزمخشري في جعله قياساً، قاله الشيخ أبو حيَّان"(السابق، ص95)، وفي موضع آخر قال: "وجعله الزمخشري عطفاً على (جنات) قال: كأنه قال: هم في جنات وكذا وكذا وحور عين. قال الشيخ أبو حيَّان: وهذا فيه بعد وتفكيك لكلام مرتبط بعضه ببعض، وهو فهم أعجمي"(السابق، ص98). وكذا قوله: "وأما تخريجُ الزمخشري لهذه القراءة فلا ينبغي أن يُسَطَّرَ لبُعده" (الرعيني، ص55)، وعرّض به في قوله كذلك: "وقد ردَّت النحاةُ المعتزلةُ هذه القراءةَ جرياً على عادتهم في ذلك، ولا يُلْتَفَتُ إليهم؛ لأنهم يصِّحون القراءة بنحوهم، والأمر بالعكس، وكان حقَّهم أن يُصَحِّحوا نحوَهم بالقراءة المتواترة. وأعجبُ شيءٍ فيهم أنّهم إذا سمعوا بيتَ شعر لا يعرفون قائلَه قد خرجَ عن قواعد العربية التمسوا له أحسنَ المخارج، واعتذروا عنه بأشدّ العُذر. وإذا رأَوا قراءةً منقولةً من طريق صحيح قد اعتنى بها الأئمّةُ. إلاّ أنها قليلةُ النظير، رَمَوها عن قوس واحد، وطعنوا فيها، وكان حقَّهم أن يقبلوها ويُبَيِّنوا مخرجَها كما يصنعه أهلُ السُّنَّة من أهل الصَّنعة"(السابق، ص171)، وأدحض كل ما يخدم الاعتزال بالحجج والأدلة كما في قوله: "وذهبت المعتزلة إلى أن الألف واللام لمجرّد الجنس، فلا تفيد عندهم الاستغراق، والمعنى عندهم: لله حمدٌ من جنس الحمد الذي تعرفون. ووهَّمَ الزمخشريُّ من ادّعى الاستغراق. وهو الواهم في الحقيقة. قال بعض أشياعه: إنّما كان ادّعاء الاستغراق وَهْما لوجهين: أحدهما– أنّ (الحمدُ لله) ناب منابَ أَحْمَدُ الله، وأَحْمَدُ الله لا يفيد الاستغراق، فكذلك (الحمد لله) لأن النائب لا يكون أقوى من المنوب عنه. قلنا: لا نسلّم النيابة، وإن سلّمناها، فكم من نائب أقوى من المنوب عنه، دليله عينُ مسألته: ألا ترى أن الزمخشري قد قَرّر أن (الحمد لله) بالرفع أبلغ من النصب، لأن الرفع يقتضي الدوام والاستقرار والنصب يقتضي التجدّد، فقد بان لك أن (الحمد لله) وإن كان نائباً فهو أبلغ وأقوى من المنوب عنه، وهو أحمدُ الله، فانظر هذا الرجل كيف انتصر للزمخشري بشيء لا يرتضيه، " فحُبُّكَ الشيءَ يُعمي ويُصِمّ ". الثاني من الوجهين– أنّ غيرَ اللهِ يُحمد، فمن ادّعى الاستغراق خالف الواقع. وهذا باطل؛ لأنّ غيرَ الله لا يستحقُّ حمداً إلا بالمجاز، والحمد بالحقيقة إنّما هو لله– تعالى–؛ لأنّه خالقُ كلِّ نعمة والفاعل لها، والعبدُ واسطةٌ، فالحمدُ في الحقيقة لله– تعالى–، وما ذكرَه من أن شكر المُنْعِم واجبٌ، مُسَلَّم، لكنّ المُنْعِمَ في الحقيقة هو اللهُ– تعالى–. و(الحمد) مصدر، لا يُثَنّى ولا يُجمع" (السابق، ص70).

وكان متفقا مع ابن عطية لاعتدال عقيدته؛ فيعتذر له إن اتفق مع الزمخشري في رد بعض القراءات، فوصفه بأحسن الصفات وأنبلها في قوله: "والعجبُ أيضاً من ابن عطيّةَ على طهارة لسانه وعُلُوّ منصبه، كيف مال إلى ردّ هذه القراءة، ولكن الجوادَ قد يكبو، والصارم قد ينبو، والله أسأل أن يَعْصِمَنا من الزَّلَل في القول والعمل"(السابق، ص171).

ويرتضي التأويلات اللغوية التي توافق السنة ويرجح أقربها لقواعد اللغة معتمدا على المنقول من شعر العرب ونثرهم، كما رجح قول ابن الحاجب في تأويله نصب (أرجلكم) في قوله: (وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ) [المائدة: 6] إذ قال: "وأقرب التأويلات في ذلك تأويل ابن الحاجب، وهو أنه جعله من باب[6]:

[6] – البيت من الرجز منسوب للراعي النميري، وهو في معاني الفراء،14/1، والبحر المحيط، 177/5

فعَلَفْتُها تِبناً وماءً بارداً

التقدير: وسَقَيْتُها، لأن الماء لا يُعلف، ثم حذف (سقيتها) لدلالة (علفتها) عليه، لأنّ الأكلَ يستلزم الشرب، وعطف (ماء) على (تبن). وكذلك الآية، التقدير: وامسحوا برؤوسكم واغسلوا أرجلكم، فحذف"(الرعيني، ص153)، واعتذر للتأويلات الكثيرة في هذه القراءة بقوله: "وإنما حملهم على تكلّف هذه التأويلات السنّةُ الواردة الصحيحة المقتضية للغسل الذي لا تحتمل تأويلاً" (السابق، ص154).

3- رفع الإغراب واللبس عن المعاني:

إن ما ذكره الرعيني في تحفته من معلومات لغوية مسهبة في مجالات كثيرة ألزمه دفع المشكل منها ورفع اللبس عنها، فاحتاج لتأكيدها بالبراهين المتنوّعة بين النظم والنثر، وتعدَّدت شواهده بين الشعر والرجز وأنواع النثر المختلفة من القرآن والقراءات المتواترة منها والشاذة، ولم تخلُ شواهده من كلام العرب وحكمهم، وقد يستدل بما كتب في مصاحف الصحابة في بعض المواضع، وهذا بيان ذلك:

أ- **القراءات المتواترة:** اتبع الرعيني منهج شيخه في الاحتجاج للقراءات القرآنية، وكان مصدره لتلك القراءات تفسير شيخه البحر المحيط الذي ينقل منه آراء شيخه وحججه، كما فعل عند احتجاجه لقراءة حمزة قوله- تعالى-: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء: 1] إذ رأى أن القراءة دليل كافٍ لصحة القاعدة، فقال: "وأما السَّماع فقد ورد نَظماً ونَثراً: أما النَّثر فهذه القراءة وكفى بها دليلاً على ذلك، فإنّها قراءة متواترة. قرأ بها حمزةُ من الأئمّة السبعة، وهو ثَبَت فيما نقل، لم يقرأ حرفاً من كتاب الله- تعالى- إلاّ بأثر صحيح عن رسول الله- ρ-، وقد قرأ بها من تَقَدَّم ذِكرُه من الصحابة والتابعين"(الرعيني، ص167). وهو في ذلك يوافق شيخه أيضا الذي انتصر لهذه القراءة بجمع الشواهد على كثرة استعمال هذه القاعدة اللغوية، وقد أورد الشواهد المذكورة في البحر احتجاجا لها، ورسم لنفسه منهج شيخه فهاجم النحاة الذين يردون القراءة إذا لم تتفق مع مذاهبهم، فقال: "وإن كان بعض البصريين قد ذهبوا إلى منع ذلك، فليست القراءةُ متوقفةً على مذهب البصريّين ولا الكوفيّين، بل إذا صحّت القراءةُ وتواترت فهي أكبرُ حجّةٍ على صحة الحكم، وكم من حكيم ثبتَ بقول الكوفيين لم يُثْبِتْه البصريون، وكم من حكيم ثبتَ بقول البصريّين لم يُثْبِتْه الكوفيّون، فلسنا مُلْتَزِمين قولَ أحدِ الطائفتين، بل أيُّهم أثبتَ حكماً بنقل صحيح عن العرب أخَذْنا به، لأنّ كلتا الطائفتين أثبات ثِقات فيما نقلوا"(السابق، ص171). بل إنه قد ينقل النص كاملا من البحر المحيط كما في قوله: "قال شيخ الجماعة أبو حيَّان: والذي أختاره: أنْ يُطْلَقَ على المُكَلَّفين. لقوله- تعالى-:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾[الروم:22]. وقراءة حَفص (للعالِمين) بكسر اللام توضّحه"(الرعيني، ص21)، والنص منقول من البحر المحيط (الأندلسي، البحر المحيط، 1993، 132/1).

ب- **القراءات الشاذة:** تبع الرعيني شيخه كذلك في منهجه تجاه القراءات الشاذة من حيث نسبتها والدفاع عنها، والاحتجاج لها، فإن لم ينسبها أبو حيان لقارئ تبعه في ذلك بقوله مثلا: "وأما قراءة الرفع فلم يسمّ الشيخ أبو حيَّان قارئها"(الرعيني، ص39)، وقد يحكم على التأويل بالضعف، ولكنه يتراجع عن حكمه، ويقويه إن أُسند بقراءة شاذة، كما قال في قراءة الجر لكلمة (السلاسل) من قوله- تعالى-: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ﴾ [غافر: 71] "وأما قراءة الجرّ فقرأ بها ابن عبّاس وجماعة، وظاهرها مشكل. وقال

الفرّاء في تأويلها: من جر (السَّلَاسِلُ) حملة على المعنى، لأن المعنى: أعناقهم في الأغلال والسلاسل. ونحا نحوَه الزمخشريُّ وابنُ عطيّة. وأوَّل الزجّاجُ على حذف حرف الجرّ، التقدير عنده: وفي السلاسل يُسحبون، وهذا تأويل ضعيف، ويقوّيه قراءة من قرأ: (وبالسلاسل يُسحبون) بباء الجرّ" (الرعيني، ص157). ويجعلها في مواضع دليلا لإدحاض رأي نحويّ، كما في قوله: "والدليل على هذا قراءة عبد الله: (وفي اختلاف) [البقرة:164]، فصرح بـ (في) المضمرة، فلم يَبْقَ في الآية دليل للأخفش على تجويز العطف على عاملين" (الرعيني، ص 15)، ولكنه حاد عن منهجه في نقده قراءة الحسن بإتباع دال الحمد في قوله-تعالى-: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ) [الفاتحة: 2]، إذ قال: "وفي هذه القراءة ضعف؛ لأن فيها إتباع حركة الإعراب لحركة البناء، والإتباع – وإن كان شاذاً – فهو باب مُتَّسع، ولا تنافي بين شذوذه واتّساع بابه" (الرعيني، ص67).

ج- **الشعر**: اعتمد الرعيني على شيخه أبي حيان في شواهده الشعرية كذلك، فأورد ما ورد في البحر المحيط، كما في قوله: "وأما النظم فقد ورد من ذلك شيء كثير بحيث لا يعدّ ضرورة، واتّسعت العربُ فيه، فتارة عطفت بالواو، كقوله – أنشدَه سيبويه[7]:

فاليومَ قَرَّبْتَ تهجونا وتَشْتِمُنا. . . فاذهبْ، فما بك والأيامِ من عَجَبِ

فعطف (والأيام) بالواو على الكاف من (بك)، ومنه قوله[8]:

لو كان لي وزهير ثالثٌ وَرَدَت. . . من الحِمامِ عِدانا شرَّ مورود

فعطف (زهير) بالواو على الياء في (لي) ومنه قوله[9]:

تُعَلَّقُ في مثلِ السواري سيوفُنا. . . فما بينَها والأرضِ غوطٌ نفانِفُ

..." (الرعيني، ص167-168) (الأندلسي،157/2،156، 166/3).

وقد يعضد القراءة بشواهد شعرية ليؤكد صحة التأويل لها، كما في قوله: "وأما قراءة الجرّ فقرأ بها ابن كثير، وأبو عمرو، وابن أبي إسحاق. والنَخَعي. ووجهها أنّ (نحاساً) معطوف على (نار). وفيه نظر على قول من فسّر (النحاس) بالدُّخان؛ لأنه يلزم منه أن يكون التقدير: وشواظ من دخان، والدخان لا يكون له شواظ وإنما الشواظ للنار، ووجهها أن الدخان لما نشأ عن النار، فكأنّها نار، فيضاف إليها ما يصحّ أن يضاف إلى النار. ومنه قول الفرزدق[10]:

فبِتُّ أقدُّ الزادَ بيني وبينَه. . . على ضوءِ نارٍ مرّةً ودُخانِ

فعطف (ودُخان) على (النار) وليس للدخان ضوء، وإنما حكم له بالضوء لأن الدُّخان ينشأ عن النار"(الرعيني، ص106). وقد يستأنس بقول المولدين منتقدا لشعرهم إن خرج عن القياس، كما في قوله: "وقد استعمل المتنبي ذلك في شعره، فقال[11]:

لقد تَصَبَّرْتُ حينَ لاتَ مُصْطَبِرٍ. . . فالآنَ أَقْحُمُ حتى لاتَ مُقْتَحمِ

---

7 – البيت من البسيط لا يعلم قائله وهو في الكتاب، 383/2، وفي خزانة الأدب، 123/5.

8 – البيت من البسيط، وهو غير منسوب، ورد في شرح التسهيل لابن مالك، 378/3.

9 – البيت من الطويل لمسكين الدارمي، وهو في ديوانه ص76، والشطر الثاني في الديوان: فما بينها والكعبِ منا تنائف.

10 – البيت من الطويل للفرزدق، وهو في ديوانه، ص628.

11 – البيت من البسيط للمتنبي، وهو في ديوانه، ص37.

واستعمال المتنبي هذه اللغة لا تليقُ به؛ لأنّها في غاية الشذوذ، من كونه جَرَّ بعد (لات)، وأوقع بعدها الاسم وليس بحين ولا ظرف محمول على الحين، ولا يُسْمَحُ للمُوَلَّدين في مثل هذا الاستعمال"(الرعيني، ص55).

د- **الاستئناس بالحديث:** من ذلك قوله متمما لمعنى فعل ورد في آية بها كلمة مثلثة وهو الفعل (آوى) في قوله تعالى: (وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ) [المؤمنون: 50]، فقال: "اَوى: معناه: ضمّ. يقال: آواه يُؤْويه إيواء: إذا ضمَّه، وأوى إذا كان قاصراً فالهمزة في أوّله مقصورة، قال تعالى: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ) ، وإذا كان متعدياً كانت ممدودة، قال تعالى: (وَآوَيْنَاهُمَا) وقد اجتمع الأمران في قوله- صلّى الله عليه وسلّم-: (فأوى إلى الله فآواه الله). هذا هو الأفصح"(الرعيني، ص94).

هـ- **رسم المصحف:** تباين استدلال الرعيني برسم المصحف حسب مقام الاستشهاد، فإن كان الوجه شائعا استدل به، كما فعل عند توجيهه نصب كلمة (شركاءكم) في قوله- تعالى-: (فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ)[يونس: 71] بـ"أن يكون محمولاً على فعل مُضْمَرٍ يُفَسِّره المعنى، أي: وادعوا شركاءكم، وقد أظهرَ أُبيّ- رضي اللهُ عنه- هذا الفعل وثَبَتَ في مصحفه" (الرعيني، ص 7).

وضعف رسم المصحف عنده دليلا في الوجوه الغريبة، فانتقد الرسم المخالف للشائع الذي بنيت عليه قواعد اللغة؛ لذلك نجده ينتقد من يستدل به، فقال: "قال أبوعبيدة: رأيت في الإمام- يعني مصحف عثمان- رضي الله عنه- التاء كُتبت متّصلة بـ (حين). وهَبْ أنّه رأى ذلك في الإمام، فلا ينهض دليلاً؛ لأنّ الإمامَ فيه أشياءُ كثيرة من غير الاصطلاح، ألا ترى أنّه قد جاء في الإمام أشياءُ موصولة كان من حقّها أن تكون مفصولة نحو (وَيْكَأَنَّهُ)، فيكون (تحين) من ذلك" (السابق، ص56).

4-إهداؤه للطالب بعض النكت والتحف:

لا يكتفي الرعيني في تحفته بتفصيل المسائل وشرحها وإظهار معانيها للطلاب، بل يتعدى ذلك إلى تذييل أغلب المثلثات بتتميمات متنوعة، فيها اللطائف والطرائف وفيها المسائل المهمة والقواعد، وهذه أمثلة عليها:

أ- إيراد قواعد نحوية وصرفية: من ذلك في إعراب كلمة سواء في قوله:(سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) [فصلت:10]، ختم الحديث عنها بذكر ما تتعلق به شبه الجملة (للسائلين)، ثم ذكر حكم عمل كلمة (سواء) (الرعيني، ص17)، كما ذكر في مواضع المعنى الصرفي للكلمة، واستطرد في ذكر مذاهب النحاة وآرائهم، كما هو في بيان معنى الإفراد أو الجمع في لفظ (هيهات)، فقال: "اختلف في إفراد هيهات وجمعها، أما إذا كانت مفتوحة فلا خلاف في إفرادها، واستدلّوا على ذلك بكتبها بالهاء كما تكتب المفردات كأَرْطاة. ومن كتبها بالتاء فهو ككَتْب بعض المفردات بالتاء، نحو: (وَجَنَّتُ نَعِيم) [الواقعة: 89]. وأمّا في حالة الضمّ فمذهب أبي عليّ أنها جمع، وكان يكتبها بالتاء. ومذهب ابن جنّي أنّها مفردة بمعنى البعد، ويكتبها بالهاء، والضمّة عنده محتملة للبناء والإعراب وكلُّ مَن أعربَها ولم ينوّن جعلها مصدراً ممنوع الصرف للتعريف والتأنيث: بَرّة علماً للمَبَرَّة" (الرعيني، ص47)، وفي خلافهم في اشتقاق كلمة يوسف أو عجمتها قال: "اختلف في (يوسف) هل هو مشتق أو غير مشتقّ: فالصحيح أنه غير مشتقّ لعجمته، والاشتقاق من خواصّ كلام العرب، وقيل: هو مشتقّ. سئل بعضهم عن ذلك فقال: الأسيف في اللغة: الحزين، والأسيف: العبد، وقد

اجتمعا في (يوسف) فلذلك سمّي به. وفي هذا الاشتقاق ما ترى من التكلُّف وإساءة الأدب" (السابق، ص103). إلى جانب إيراد بعض اللطائف النحوية، كما في قوله-Ψ-: (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ # لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ) [الأنبياء: 2-3] قال: "في هذه الآية الكريمة لطيفة: وهو توالي أربع أحوال فـ(محدث)- فيمن نصب- حال من (ذكر)، و(إلاّ استمعوه) حال من المفعول في (ما يأتيهم)، (وهم يلعبون) حال من الضمير المفعول في (استمعوه). و(لاهيةً) حال من الضمير في (يلعبون)"(الرعيني، ص60). وهذا كله لا علاقة له بالهدف من تأليف الكتاب؛ وهو إلمام الطالب بالمثلثات في القرآن.

ب- ذكر بعض الطرائف المعجمية: ذكر الرعيني معاني كثيرة لبعض الكلمات وبين دلالاتها المختلفة، من ذلك كلمة (كوكب)، قال: "الكوكب هو النجم البادي، ولا يقال له كوكب إلا عند ظهوره، قاله الراغب. وكوكبُ الشيء: معظمه. وكوكبُ الروضة: نورها. وكوكبُ الحديد: بريقه. والكوكب: البياض في سواد العين، ذهب البصر أو لم يذهب. والكوكب: قطرات الجليد التي تقع على البَقل بالليل. والكوكب: شدة الحرّ ومعظمه. والكوكب: الماء. والكوكب: السيف. والكوكب: سيّد القوم. والكوكب: الرجل بسلاحه. والكوكب: المَحْبِس. والكوكب: الجماعة من الناس. والكوكب: المسمار. والكوكب: الخطّة تخالف لون أرضها. والكوكب: عين البئر، والكوكب: الجبل. قال الأزهري: سمعنا غير واحد من العرب يقول للزُّهرة من بين الكواكب: كوكبة، يؤنثها، وسائر الكواكب تذكر. قال الضحّاك: والمراد بالكوكب في الآية: الزُّهرة. شبَّه الزجاجة بها في ضوئها وشعاعها" (السابق، ص74)، وذكر في الفرق بين مالك وملك معاني كثيرة "واعلم أن المشهور من هذه القراءات كلها (مَلِكِ) و (مالِكِ) ... ومنهم من جعلهما مختلفين في المعنى وهو ظاهر اللغة. ومن جعلهما مختلفين" وذكر حجج المرجحين بينهما في أربع صفحات من الكتاب(السابق، ص148-151)؛ ليعقب عنها بقوله: "فهذه حُجَجُ المُرَجِّحين بين (مالك) و(مَلِك)، أكثرُها تلمّحات لا تقوم بها حجّة عند تحقيق النظر، والذي تجنح إليه النفس أن (مَلِكاً) أعظم من (مالك) والله أعلم" (السابق، ص151).

كما ذكر أصول بعض الكلمات، وهذا إن كان يدخل في باب الأصلي والزائد في الصرف، فهو يعين مصنفي المعاجم في تصنيف موادهم اللغوية، فنبّه الرعيني عن أصل كلمة (كوكب) ليتمكن مؤلفو المعاجم من وضعها في مكانها الصحيح؛ فقال: "وهنا تنبيه: وهو أن كوكبا وزنه (فوعل)، والواو زائدة، فكان حقّ الجوهري أن يذكره في فصل (ككب) لا في فصل (كوكب)، والله أعلم" (الرعيني، ص75).

وذكر التقليبات الاشتقاقية للكلمة ودورانها حول معنى واحد، وهو ما يسمى بالاشتقاق الأكبر عند ابن جني، فقال: "ومن غريب ما في ذلك أن مادة " ك ل م " كيف ما تقلَّبت فهي مستعملة في هذا المعنى، وهي ستُّ صُوَر: ملك، مكل، لمك، لكم. كمل، كلم"(السابق، ص147/148)، ولا شك أن كل هذا استطراد أبعد المؤلف عن هدفه من تحفته.

ج- ذكر بعض قواعد الفقه: قد يستطرد المؤلف في بيان الاختلافات الفقهية الواردة في الآية لحاجته إليها من ذلك عند توجيهه، كما في قوله- تعالى-: (فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ)[المائدة: 6] إذ قال: "ووجه هذه القراءة مبنيّ على اختلاف المذاهب في ذلك: فمن أوجب الغسل في الأرجل وهو الصحيح وعليه جمهور الفقهاء، فللخفض على قولهم تأويلات"(الرعيني، 152)، وفي مواضع يستطرد من دون الحاجة كما هو في قوله: "واختُلف في عدد الهدي: فقيل: كان مائة بَدَنة، فيها جملُ أبي جهل الذي أُخذ منه يوم بدر. فكان الهدي بَدَنةً عن كل سبعة. وقيل: كان الهدي سبعين، عن كل

عشرة بَدَنة. هذا بناء على أن عدد من كان معه– صلّى الله عليه وسلم– سبعمائة رجل" (السابق، 194).

د- ذكر القراءات الوادرة في الآية لغير التثليث، من ذلك ذكره القراءات الواردة في قوله–تعالى–: (وَحُورٌ عِينٌ) [الواقعة: 22]، وغيرها كثير (الرعيني، الصفحات 98- 99، 107-108)

هـ- إيراد بعض اختلافات المفسرين في الآيات التي يوردها، مبينا بذلك معنى الكلمة المثلثة كما في قوله:"واختلف المفسّرون في المراد بالربوة في الآية: فقيل: هي غوطة دمشق، وهي ذات قرار ومعين على الحقيقة. وقيل: رملة فلسطين. وقيل: بيت المقدس لارتفاعه. زعم كعب: في التوراة أن بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء، وأنه يزيد على الأرض ثمانية عشر ميلاً. وقيل: هي أرض مصر"(السابق، ص95)، ومن ذلك أيضا ما ذكره في اختلافهم في المقصود بالمصباح في قوله– تعالى–:(ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ) [النور: 35]، مع أن الكلمة المثلثة في الآية كلمة (زجاجة)(الرعيني، ص 100-101) .

و- ذكر بعض الأحاديث: بعد استكمال مثلث الباء في كلمة (ربنا) من قوله تعالى: (وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ)[الأنعام: 23] ذكر أن "في الصحيح أن رجلاً أتى ابنَ عبّاس– رضي الله عنهما– فقال: سمعتُ الله يقول:(وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ). وفي أُخرى: (وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) [النساء:42]، فقال ابن عبّاس: لما رأوا أن الجنّةَ لا يَدْخُلُها إلا مؤمن قالوا: تعالَوا فلْنَجْحَدْ وقالوا: ما كُنا مشركين، فختم الله على أفواههم، وتكلّمت جوارحهم، فلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا" (الرعيني، ص23)، وهو استطراد لا يخدم الهدف المطلوب تحقيقه من الكتاب.

ز- التتميم بما يرشد إليه قوله– جل جلاله–: (صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ) [الرعد: 4] من بيان قدرة الله في إنبات الزرع وإظهار الثمر ...، ليس هذا فحسب بل أردف هذا البيان بأرجوزة في هذا المعنى من ثمانية أبيات ختم بها الكلام عن مثلث كلمة صنوان. (الرعيني، ص 112- 113)

ح- ذكر اللغات الواردة في الكلمة من ذلك ذكره اللغات الواردة في كلمة (أفٍ) في قوله– تعالى–: (فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ) [الإسراء: 23]، فقال: "وهذه الكلمة قد اتّسعت فيها العرب لدورها على ألسنتهم، وتصرفت فيها حتى بلغت لغاتُها أربعين لغة، وها أنا أذكرها مضبوطة" وذكرها كلها نقلا عن أبي حيان من كتابه الحلل إذ أسند إليه هذه اللغات في آخر حديثه عنها(الرعيني، ص131-132). كما ذكر في هيهات ستا وثلاثين لغة (السابق، 49-50)، وقد بالغ في الاستطراد في هذه المواضع.

ط- التتميم ببيان الأغراض البلاغية: شرح الرعيني بعض النكت البلاغية من بعض الاستعمالات اللغوية، كما في قوله: "فإن قيل: فما فائدة المجيء بأسماء الأفعال بدلَ أفعالها؟ قلتُ: الاختصار والمبالغة: أما الاختصار فإن لفظها مع المذكر والمؤنّث والمثنّى والمجموع واحد، وليس كذلك الفعل. وأما المبالغة فإن قولك: بَعُدَ زيد، ليس فيه من المبالغة ما في قولك: هيهات زيد. فإن قولك: بَعُدَ زيد، يُفْهَمُ منه مُطْلَقُ البُعد، وإذا قلتَ: هيهات زيد، فمعناه: بَعُدَ زيدٌ جداً، أي: بلغ في البُعد غايتَه"(السابق، ص51)، ومن ذلك بيان المجاز في الوصف في قوله: "وصف الناصية بالكذب والخطأ مجاز، وإنما ذلك من صفة صاحب الناصية، وحسّن ذلك كون الناصية مُحَدَّثاً عنها في قوله– تعالى–: (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ)" [العلق:15] (الرعيني، ص58). ولكل ما ذكر من استطرادات مظان يرجع الطالب إليها إن رغب، فوجودها في هذا المؤلف لا داعي له، بل أبعدت الطالب عن الهدف المرجو من الكتاب.

5- ترتيب مادته:

أ- اتبع الرعيني منهج التأليف المعجمي الألفبائي، فبدأ مادته بما كان التثليث واقعا في صوت الهمزة وأنهاه بالكلمات التي وقع التثليث فيها في الياء.

ب- كان ترتيب الآيات داخل كل باب حسب ترتيب المصحف.

ج- لم يعتدّ بترتيب حركات المثلث، أي رتّب الحركات الثلاث في الكلمة حسب شيوع القراءة وتواترها؛ فكان في أغلب مؤلفه يراعي حركة الكلمة التي اتفق فيها القراء السبعة جميعهم أو بعضهم ثم يردف الكلمة ذات الحركة التي قرئ بها في الشواذ. وندر أن يقدم القراءة الشاذة عن المتواترة كما في قوله- تعالى-: (كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) [النور: 35] في تثليث الدال من (درّيّ) مع المد والهمز، وراعى التواتر في التثليث مع تشديد الياء (الرعيني، الصفحات 71-74)

د- كان ينبّه القارئ عن الحروف التي لم يرد فيها قراءة مثلثة، مثلا: "حرف الخاء ولم نجد في الخاء شيئا" (السابق، ص65)

هـ- يحيل القارئ إلى ما بينه فيما سبق، إذ قد تضم الآية كلمتين مثلثتين فيبينهما معا في أول ذكر للآية، وعند موضع الكلمة الأخرى ينبه القارئ أنها قد ذكرت سابقا، كما في قوله: "وقد تقدّم الكلام في ذلك في باب الراء حيث تكلّمنا على (حُورٌ)" (السابق، ص185).

ويختم الرعيني تحفته بقوله: "فهذه غاية ما انتهى إلينا ممّا قُرى مثلّثا من حروف التنزيل، وقد أوْضَحْنا جُمَلَه إيضاحَ التكميل والتسهيل، فَلْيَرْتَشِف الباحثُ من معانيه ضَرَباً، وَلْيَعْجِمْ عُودَه فلا يَجده إلا نَبْعاً أو غَرَباً"(الرعيني، ص196).

ومن التحليل السابق يتضح أن كتاب تحفة الأقران يتميز بجمعه القراءات المثلثة التي رتبها ترتيبا منطقيا يسهل إدراك كلياته، ولكنه أضاع ميزته بكثرة الشرح والبيان؛ فشرد المؤلف عن الهدف الرئيس الذي قدّمه في مقدمة الكتاب، وهو أن يحفظ الطالب تلك المثلثات الشاردة عن الحفظ، ولم يكن أيسر للناظر بما أودع فيه من قواعد ومعان وتفاسير ولغات، وخاتمة قوله دليل على شرود هدفه إذ قال: "أوضحنا جمله إيضاح التكميل"، فأسهب رغبة في إعطاء الطالب المعلومات كاملة، ولكن عطف التسهيل على التكميل وفيه بعد؛ لأن التسهيل يناسبه الإيجاز لا التكميل والإطناب.

المطلب الثاني: أهمية استخدام إستراتيجية التثليث في تعليم العربية في العصر الحديث:

استخدم المحدثون المتشابهات الصوتية كثيرا في تعليم اللغات فتجد تعليم الإنجليزية في المستويات الأولى يعتمد على تعليم كلمات لها قافية متشابهة تعين المتعلم على حفظها، نحو: (mat-cat-hat-rat)، ونحو:(hit-hat-hot)، (https://phils-english.blogspot.com/2013/10/hit-hat-hot-hut.html)، وأطلقوا عليها اسم (word families) عائلات الكلمات، أو (Rhyming) تقفية الكلمات، وهي كلمات تربطها روابط صوتية متحدة، الغرض منها تذكير متكلِّم اللغة بالفروق الصغيرة بين هذه الكلمات كي لا يخطئ في استخدام إحداها موضع الأخرى، ويتكون لديه معجم صغير لكلمات تحمل تسلسلا صوتيا متشابها لا يختلف فيه إلا صوت واحد، وهذه الإستراتيجيات عوّلوا فيها على تحفيظ الطفل متعلم اللغة لها

دون الاستطراد في شرح معانيها، وتفصيل الكلام في قواعد مبانيها، بل إنهم يعتمدون على إيضاح معانيها بالصور، فما كان من الطفل إلا حفظها مع معرفة معناها المعجمي الذي يحتاجه، واستذكارها حين الحاجة إليها.

ويؤسس تعليم المفردات والوظائف اللغوية للأصوات في ذهن متعلم اللغة معاجم دلالية يستخدمها في نظمه للجمل بعد وعيه بالقواعد الصرفية والنحوية، فتخلق فيه نوعا من الكفاءة اللغوية، التي لا يمكن قياسها وتقييمها إلا باستعمالها في التخاطب، والأداء اللغوي (ولكنز، 1999، ص759).

وكان يؤمل من معلمي اللغة استخدام هذه الإستراتيجية التعليمية في نقل مفردات اللغة، ومن متعلميها حفظها واستعمالها، ولكن ما حدث للمثلثات هو عينه ما حدث لباقي الإستراتيجيات، انتقلت إلى متون للشروح والتعليق والتعليل، وأثقلت كاهل المتعلِّم بالقواعد والشواهد، ويتضح ذلك من تحليل منهج كتاب تحفة الأقران لأبي جعفر الرعيني، الذي أبرز أهم الأسباب التي أدت إلى صعوبة تطبيق هذه الإستراتيجية، إذ بعدت الفائدة منه في إلمام طالب مثلثات القراءات القرآنية، فكان حريا أن نقوّم استخدام هذه الإستراتيجية، وغيرها لتمكين طلاب اللُّغة من الاستعانة بها واستخدامها.

الخاتمة:

لكي تكون الدراسة ذات جدوى في المجال التطبيقي ذيلت بهذه الخطة كي تُوجِد البديل للمسار البعيد الذي عدل إليه أصحاب المثلثات، فصارت المادة اللغوية تدرس فيها لذاتها، ولكل فائدة وقطوف، ولكن ما نراه اليوم من ابتعاد العربي عن لغته واستصعاب تعلمها، فمن الأجدر أن يُنظر في تاريخ تعليم العربية وانتشارها، والاستفادة من الأفكار القديمة واستثمارها وتقويمها، فالمؤلفات اللغوية القديمة على الرغم من سمو هدفها وإعجاز نظرياتها أساء المتأخرون استعمالها، وعجزوا عن الاستفادة منها بعدولهم عن أهدافها، في حين تهافت الغرب على تطويرها والاستفادة منها وتطويعها لتعليم لغاتهم، وهذه إجراءات علينا اتباعها وتنفيذها للحصول على الغاية المرجوة من أفكار الأقدمين في تعليم العربية:

1- اختصار المؤلفات اللغوية الهادفة إلى تعليم اللغة وتقويمها للسير بها نحو الهدف المرجو؛ بالاقتصار على المعلومات الأساسية المراد تزويدها للطالب، وحذف الحشو والاستطراد والتعليل للمادة اللغوية نفسها.
2- العمل على جمع الكلمات المتشابهة في الجذر اللغوي كالمثلثات والثنائيات والتقليبات الاشتقاقية ... وغيرها من المتشابهات اللغوية وتأليف معاجم مبسطة لا استطراد فيها؛ للاستفادة منها في تعليم اللغة.
3- حوسبة هذه المفردات وإيجاد قوالب تقنية تعين مستخدم اللغة في الوصول إليها بأقل جهد وأسرع وقت.
4- توعية الطلاب وتحفيزهم لحفظ متون اللغة وامتلاك مفرداتها لغرض استعمالها.
5- وضع هذه المواد في مراحل التعليم المبكرة للغة للاستفادة من مرحلة الحفظ لسنوات التعلم الأولى على شكل أناشيد أو منظومات.
6- عدم الوقوف عند نقطة الوعي اللغوي بمكوِّنات اللغة، وتعديه إلى مرحلة الاستعمال والأداء والتخاطب.

7- النظر في مناهج إعداد معلم اللغة العربية في كليات التربية- عموما-، وكليات التربية بجامعة طرابلس- خصوصا-، والاستفادة من اللسانيات التطبيقية في اختيار المقررات ومفرداتها.

فهرس المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- ابن الجزري. (2006م). *غاية النهاية في طبقات القراء*، تحقيق: برجستراسر. بيروت: دار الكتب العلمية.

3- ابن الجزري. (لا ت). *النشر في القراءات العشر*، تحقيق محمد الضبّاع. دار الكتب العلمية: بيروت.

4- ابن السيد البطليوسي. (1981). *المثلث*. بغداد: دار الرشيد.

5- ابن جني. (1966). *المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات*، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح شلبي.

6- ابن طباطبا. (2005). *عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر*. بيروت: دار الكتب العلمية.

7- ابن عصفور. (1980). *ضرائر الشعر، تحقيق السيد إبراهيم*. القاهرة: دار الأندلس.

8- ابن مالك. (1990). *شرح التسهيل، تحقيق عبدالرحمن السيد ومحمد المختون*. الجيزة: دار هجر.

9- ابن مالك. (1984). *إكمال الإعلام بتثليث الكلام*، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي. مكة: منشورات جامعة أم القرى.

10- أبوجعفر الرعيني. (2007). *تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من حروف القرآن*. الرياض: كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع.

11- أبوحيان الأندلسي. (1993). *البحر المحيط*، تحقيق: عادل عبدالموجود، وعلي معوض. بيروت: دار الكتب العلمية.

12- أبومنصور الأزهري. (1967). *تهذيب اللغة*، تحقيق: إبراهيم الأبياري. القاهرة: دار الكاتب العربي.

13- الأعشى. (1950). *ديوان الأعشى*. القاهرة: المطبعة النموذجية.

14- الزبيدي. (1969). *تاج العروس من جواهر القاموس*. الكويت : وزارة الإرشاد والأبناء.

15- الزمخشري. (1989). *القسطاس في علم العروض، تحقيق:* فخرالدين قباوة. بيروت: مكتبة المعارف.

16- الفراء. (1983). *معاني القرآن*. بيروت: عالم الكتب.

17- الفرزدق. (1987). *ديوان الفرزدق*، راجعه علي فاعور. بيروت: دار الكتب العلمية.

18- المتنبي. (1983). *ديوان المتنبي*. بيروت: دار بيروت.

19- جلال الدين السيوطي. (1965). *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الإسكندرية: مطبعة عيسى البابي الحلبي.

20- ديفد ولكنز. (16 ,5 ,1999). اللغات الثانية كيف نتعلمها. *الموسوعة اللغوية*، الصفحات 745-787.

21- ربيكا أكسفورد. (1996). *إستراتيجات تعلم اللغة*، ترجمة السيد دعرور. القاهرة: مكتبة الأنجلومصرية.

22- رؤبة بن العجاج. (لا ت). *ديوان رؤبة*. الكويت: دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.

23- سيبويه. (1988). *الكتاب*. القاهرة: الخانجي.

24- صلاح الصفدي. (2000). *الوافي بالوفيات*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

25- عبد القادر البغدادي. (1997). *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، تحقيق:عبدالسلام هارون. القاهرة: دار الخانجي.

26- مجدالدين الفيروزبادي. (2000). *الغرر المثلثة والدرر المبثثة*، تحقيق: سليمان العايد. مكة-الرياض: مكتبة نزار الباز.

27- مسعود صحراوي. (2005). *التداولية عند العلماء العرب*. بيروت: دار الطليعة.

28- مسكين الدارمي. (2000). *ديوان مسكين الدارمي*، تحقيق: كارين صادر. بيروت: دار صادر.

29- ميثم محمد نوري. (2023). *المثلث اللغوي دراسة منهجية موازنة بين البطليوسي والفيروزآبادي والخليلي*. الموصل-العراق: دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع.

30- هالة العبوشي. (ع:12, 2016). مراجعة نقدية لكتاب المثلث لابن السيد البطليوسي. *المخبر*، الصفحات 149-168.